مطبوعات شرقية

CHOUCRI CARDAHI : *Droit et Morale*, Le droit moderne et la législation de l'Islam au regard de la morale. — t. 1er : analyse critique et synthèse comparative des éléments de la responsabilité délictuelle en matière civile. — Annales de la Faculté de Droit — Beyrouth, 1950. 458 pp.

مأثرة قيمة في عالم المطبوعات

الحقوق وعلم الاخلاق — نشر الاستاذ قرداحي تحت هذا العنوان في حوليات المعهد الحقوقي الفرنسي الجزء الاول من مؤلفه الواقع في جزءين وقد خصه ببحث .

والعنوان الثاني : الحقوق الحديثة والتشريع الاسلامي في نظر علم الاخلاق يوضح ما يشتمل عليه الكتاب ولقد خصّ الجزء الاول ببحث المسؤولية المدنية ومبادئها . اما الجزء الثاني فيبين كيف كان الحقوقيون وعلماء الاخلاق يطبقون قواعد الحقوق التعاقدية .

وفي توطئة رائعة هي ثبت للتعاليم والنظريات حول اساس علم الاخلاق وغايته يسرد لنا المؤلف تاريخاً جليل الفائدة بعد ان عرض المسألة الجوهرية على الشكل التالي : ما هي الاسس التي تستند اليها الحقوق الوضعية ؟

وقد جهد علماء الحقوق مجهوداتهم في سبيل بحث هذه القاعدة الاساسية . اما الاستاذ قرداحي فلم يتوخَّ — كما قال — درس فلسفة النظام الحقوقي بذاته مجرداً عن كل اعتبار اخر بل هدفَ الى الاشارة الى النقاط التي يلتقي فيها القانون الغربي الصريح او الشرقي والتي يختلفان حولها مع مبادئ علم الاخلاق مهما كانت الناحية التي ينحاز اليها الحقوقي في ما يتعلق بمسألة اساس الحقوق الدقيقة وغايتها .

والملاحظة الاولى التي دبجها يراع الاستاذ قرداحي هي ان المدرسة الحسية الاميل الى المثالية تكتفي بان تطلب من الحقوق الطبيعية بعض المبادئ الجوهرية لتدع اهل الفن يستنبطون منها القواعد الفرعية فيطبقونها على الفروع الحقوقية على نقيض بعض المؤلفين ككروتيوس (Crotius) وتلامذته الذين افرطوا مغالاة بدور العقل وزعموا انه يحدد القواعد الشاملة التي تتناول جميع الفروع الحقوقية .

ويلمح الاستاذ قرداحي في هذا الصدد الى اسماء اربعة مشاهير هم : جني (Gény) وهوريو (Hauriou) وريبرت (Ripert) وجوسران (Josserand) ويقيم التقارب بين تعاريف لوفور (Le Fur) الثانية وتعريف القديس توما لها وكلهم تفهم ان الحقوق تتجه نحو المصلحة العامة وتفرض سلفاً احترام القانون الطبيعي — وقد بسط مقابل ذلك قواعد الحقوق الاسلامية وخصائصها بالنسبة الى القانون الطبيعي كما تصدى الى الحلول التي تطبقها المذاهب القرآنية الكبرى في هذا الموضوع . اما التشريع الوضعي فانه من سوء الحظ يتجاهل احياناً اوامر الوجدان القاطعة من دون ان يستند الى مصدر اسمى على زعم منه انه كاف بنفسه ، على حين ان القانون كما يقرر القديس توما ليس امراً عددياً لان ذلك لا يدخل تحت طائل علم الاخلاق وانما هو ايضاح للعدل وتنظيمه في مجموعة قوانين لولاها لاصبح العدل طغياناً .

وعلى ما في تقارب بين علمي الحقوق والاخلاق فانهما يختلفان في نقاط عدة كما اوضح الاستاذ قرداحي في اثناء استيفاء بحث موضوعه ... اما علم الاخلاق المسيحي فلا يعتبر عامةً اساساً للمسؤولية المدنية الا الخطأ اللاهوتي بينما يلقي القانون الوضعي المسؤولية الخارجية احياناً على عاتق الفرد من دون ان تكون ثمة هفوة حقيقية منه كما هو الامر في نظرية الطوارئ .

وقد عمد الاستاذ قرداحي في هذا الشأن الى تحليل غزير المعلومات متعرضاً لاحكام القضاء العديدة مستشهداً من جهة برأي المؤلفين ومن الاخرى برأي اللاهوتيين .

واننا لنعجز في هذه السطور الوجيزة عن ان نفي ما لهذا المؤلف القيم من اهمية فلذلك نلفت اليه انظار جميع من يعنون بهذا الموضوع — وهم كثر — ونتوجه بتهانينا الحارة الى العلامة المؤلف . ا. ن.

تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف جواد علي

الجزء الاول (القسم السياسي) بغداد ١٩٥١ مطبعة التفيض ، ٤١٨ ص ، ٢٤ × ١٦٧ سم .

هذا اول جزء من سفر سوف يملأ عدة مجلدات ، في تاريخ العرب قبل الاسلام ، قد تبناه المجمع العلمي العراقي واخذ في نشره في مطبوعاته وعلى نفقته

والسفر سوف يتألف كاملاً من ثلاثة اقسام يتناول القسم الاول منه الحالة السياسية للعرب قبل الاسلام ، والجزء الذي نحن بصدده هو الاول من هذا القسم وسيقع في اجزاء ، وسيتناول القسم الثاني الحالة الدينية ، والقسم الثالث الحالة الثقافية وحضارة شبه الجزيرة العربية .

انا نرحب بمثل هذا البحث ويجب على كل صديق للعرب وغيور على استطلاع تاريخ البشر ولا سيما في بقاع هذا الشرق ان يشاركنا هذا الشعور وان يشكر واضع الكتاب على مجهوده العلمي والمجمع العراقي على موازرته وتشجيعه .

ليس معظم هذا الجزء الا تمهيداً واسعاً لما سيتلوه من اجزاء. يذكر المؤلف فيه مصادر تاريخ الجاهلية ويستعرضها استعراضاً شاملاً ومرتباً ترتيباً علمياً لا نعرف له مثيلاً في العربية . ومن هذه المصادر النقوش والكتابات الحجرية التي عثر عليها العلماء فكانت لهم حافزاً على المضي في البحث والتنقيب، ومنها ما ذكرته التوراة والتلمود والتفاسير والكتب العبرانية ، ثم ما ذكره مؤرخو اليونان والرومان والنصارى الروم والسريان، واخيراً ما جاء به مؤرخو العرب المسلمون في هذا الباب . وهو ، كما يقول المؤلف (ص١٠) اضعف قسم طرقه كتبة العرب فيوزه التحقيق والتدقيق والتمحيص . لانهم انصرفوا عن الاهتمام بتاريخ العرب قبل الاسلام لاعتقادهم ان الجاهلية افسدتها الوثنية وان الاسلام يهدم ما قبله . ولما توطدت اركان الاسلام وتلاشى خطر الوثنية على الدين الجديد راح المسلمون يتفقدون آثار الجزيرة انما اجتزأوا بآثار اللغة التي تيسر عليهم تفهم القرآن فحسب. فاذا استثنينا الاحاديث التي يرتاح المؤلف في الجملة الى صحتها في حدود معينة فلا يمكننا ان نرجو كبير فائدة من آثار اخباريي المسلمين . ومما يجدر ان ننوه به ان المؤلف لا يكتفي باستعراض المصادر انما يرفقها بنقد وجيز رصين يبين صحة كل منها وقيمته العلمية. فالقارئ يجد في الفصل الاول مختصراً جامعاً لاسماء السياح المستشرقين والالسنيين وللابحاث والمؤلفات التي وضعوها عن الجزيرة منذ القرن الثامن عشر الى ايامنا هذه حيث اخذت البعثات العلمية ترداد نشاطاً وتشوقاً الى استجلاء ماضي العرب القديم .

ويتبع ذلك فصل ثان في طبيعة الجزيرة الجيوغرافية والجيولوجية وفي مختلف

اقسامها من حرار ونفود ودارات وانهار واودية وجبال . ثم يفرد فصلًا عن صلات العرب بالساميين فيستفتي العلماء رأيهم في اصل الساميين ، اتراهم خرجوا قديمًا من جزيرة العرب ام جاؤوها من الشمال ذاكرًا رأي نلدكه القائل بان اصلهم في افريقيا ، ورأي فلبي القائل بان اصلهم في جنوب الجزيرة ، ورأي مُوسِل القائل بان الادلة الجيولوجية والتاريخية واللغوية غير وافية للبت في الموضوع . فيشير المؤلف بالتوقف في الرأي ريثما تتوفر الادلة الثابتة القاطعة . ثم يعرض لاصل الاقلام العربية ويعدد ما عثر عليه البحاث من اقلام كالمسند والثمودي والصفدي واللحياني والنبطي وينتهي الى ان اصل القلم العربي قبل الاسلام لا يزال سرًا ينقصه التعليل الوافي . ثم ينتقل طبعًا الى اصل الابجديات ويعالجه بنفس المنهج الدقيق وبتوسع فيذكر الابجديات المتفرعة عن اصل هيروغليفي او مسماري (راس شمرة) ويبحث صلة القلم المسند بها فلا يخلص الى نتيجة حاسمة . انما هيأ ببحثه لرغيب العلم الاطلاع على الحالة كما تبدو اليوم للعلماء وانار الطريق لمواصلة السير الى الامام في التنقيب .

ولعل اطرف فصل في الكتاب هو الفصل الرابع الذي تصدى فيه الى درس اصل قبائل العرب وطبقاتهم وانسابهم درسًا دقيقًا جديدًا الى حد كبير فيرى ان تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين تقليد لا يستند الى علم . وان الانساب مستقاة في الاسلام من معين واحد هو اهل الكتاب مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ، ثم اختلطت روايات هؤلاء بروايات فارسية فاندمج ادم في « كيومرث » ونوح في « افريدون » الخ . . . ويتصفح بعد ذلك ما بلغنا من المعلومات عن العرب البائدة مثل عاد وثمود الخ . . ويبين كيف خلط الاخباريون في منشأها ومقامها ، وعن قحطان او العرب العاربة وما يعتور تاريخها من غموض وتلفيق وتشويش اذ لا نعرف عن قحطان اكثر مما يردده الاخباريون اخذًا عن اليهود بانها يقطان التوراة . اما حضرموت فمعلوماتنا عن هذا الشعب حسنة بفضل الكتابات الجاهلية التي ترجم عددًا منها المستشرقون (ص ٢٧٤) وسوف يتحدث عن حضرموت في فصول الكتاب المقبلة . ثم انه يذكر شيئًا عن الحياة الاجتماعية كالمفاخرات والشعار والاحلاف والعصبية والحرية . ويختم هذا الفصل بقوله : « جعلت هذه الفصول تمهيدًا للفصول القادمة عن تاريخ

العرب قبل الاسلام ، وهذه الفصول التي ستريننا صورة جديدة غير مألوفة عند الكثير منا عن تاريخ العرب ، ستريننا ان ما قيل عن جهل العرب وعزلة شبه جزيرتهم وانكماشها عن بقية اجزاء العالم وعن عدم مشاركتها في التاريخ العالمي وفي الثقافة الانسانية قبل الاسلام ، هو شيء لا يستند الى اساس » (ص٣٧٢). ويشرع بعد هذا التمهيد الطويل في فصل اخير (ص ٣٧٥—٤١٣) في الكلام على تاريخ الدولة المعينة فحصاً ما نعرف عن اسمها ورقعتها وملوكها والهتها وعن نشأتها ثم ازدهارها فافولها .

فالكتاب يشبه موسوعة زاخرة بالمعلومات التي تكاد تكون شاملة لما كتب علماء الغرب عن الجزيرة من المان وانكليز واميركان خاصة . ويسير المؤلف على المنهج العلمي الحديث الذي يتميز بعرض الاراء بامانة ونزاهة وبمناقشتها مناقشة دقيقة مع الدلالة على مواضعها في الكتب . لذلك كثرت في الكتاب الحواشي والمراجعات حتى كادت تتساوى مع النص ودلت على جهد كبير اقتضى من المؤلف خمس عشرة سنة بذلها في جمع هذه المعلومات وترتيبها . ولم يكن الامر بالسهل لان المادة غزيرة متشعبة ولا تزال « خاماً » الى حد كبير. لكنه شق الطريق وعبدها ما امكن لمن يحسّ من نفسه ميلاً الى اقتفاء اثره ومواصلة السعي بعده .

ونشير الى ان الكتاب مزين بخريطة الجزيرة وبجداول للابجديات العربية وبتصاوير مختلفة لكتابات ونقوش ومذبح . ولا يخلو كتاب كهذا من بعض اغلاط وتشويش في بعض صفحاته على انا نأسف لتأجيله سرد اسماء الكتب التي استعان بها والرموز التي وضعها لها لان القارىء كثيراً ما يضطر الى اعادة تقليب الصفحات ليهتدي الى المرجع المشار اليه باختصار . كما انا نرغب اليه في زيادة عدد الخرائط وتقسيمها الى اجزاء صغيرة تتناسب مع الفصول . لان جغرافية الجزيرة مجهولة لغالبية القراء .

ي. ع.